المشرق

بوبيل

الجامعة الرومانيَّة الغريغوريّة

نظر تاريخي اجتماعيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

قد شبَّه الكتاب الكريم اعمال الصالحين بشجرة أصيلة الجذور وارفة الظلّ لا تنثر اوراقها صيفاً مع شتاء وهي مغروسة عند مجرى المياه . هذا لعمري وصفٌ يصحّ في الوقف من المشروعات الكاثوليكيَّة التي أُنشئت منذ عدَّة اجيال وهي لا تزال الى يومنا في نموّها وازدهارها

وقد ظهر ذلك خصوصاً في هذا العام في رومية العظمى في احدى جوامعها الشهيرة المعروفة بالجامعة الرومانيَّة الغريغوريَّة التي احتفل اربابها ببوبيلها المئوي في ٧ ايّار ١٩٢٤ فأقيمت الحفلات الشائقة التي حضرها عدد عديد من الكرادلة والاساقفة وذوي المناصب الشريفة ومعظمهم من المتخرّجين فيها . وقد شرَّفها الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر وهو احد تلامذتها ببراءة خصوصيَّة اثنى فيها على خدَمها السابقة والحاضرة وآزر مديريها واساتذتها ببركته الحبريَّة

فبهذه النسبة أحببنا ان ندوّن على صفحات المشرق خلاصة تاريخها واعمالها ليرى القرّاء الكرام ما للكنيسة الكاثوليكية عموماً وللرهبانيَّة اليسوعيَّة خصوصاً من الاهتمام بتهذيب العقول ورفع منار العلوم

العلوم . ثم ثلاث مكاتب اخرى خصوصيّة كانت الواحدة منها تتألّف من ٣٠٫٠٠٠ كتاب

وكان الجامعة ايضاً عرفة لكل ادوات العلوم الطبيعيّة والمكتشفة في ذاك الوقت تُعَدّ من أغنى المعاهد العلميّة

وقد اقام الاب كلافيوس منذ السنة ١٥٧١ مرصداً لتلك الجامعة اشتهر في كل انحاء اوربّة برصوده للفلك والمظاهر الجويّة كالحرارة وحركات الارياح وثقل الهواء . وقد خلفهُ في ادارته مشاهير الفلكيّين منهم الآباء كلَنْدرتي وشَيْنر وكَونتي وريشباخ . وقد عهد الباباوات الى بعض هؤلاء العلماء ادارة مرصد الڤاتيكان

وكان في تلك الجامعة الغريغوريّة متاحف غنية تولّى جمعها وتنظيمها العلّامة فريد عصره الاب اثناس كِرْخر مكتشف الفانوس السحري . ثم جرى على منواله الآباء فيليب بوناني وكونتوشي وريشيوري

هذا فضلاً عن علوم اللغات القديمة كاليونانيّة واللاتينيّة والعبرانيّة والسريانيّة . وعن المحاضرات العلميّة والادبيّة التي كانت تُعقد في مواطن معهودة فيتقاطر اليها كل اعيان رومية وعلماء ايطالية

وكان من الواجب هنا ان نعدّد الرجال العظام الذين تخرّجوا في هذه الجامعة فشرّفوا بلادهم بعلومهم وآثارهم الطيّبة منهم عدد لا يُحصى من الكرادلة والاساقفة والكهنة والرهبان نظمت الكنيسة بعضهم في عداد القديسين كاويس غونزاغا ويوحنّا بركمنس وليونار دي پورتوريس الكبوشي وانّما نكتفي بذكر الاحبار الرومانيّين الذين تعلّموا فيها في القرنين السابع والثامن عشر وهم : غريغوريوس الخامس عشر . واوربانوس الثامن . واينوشنسيوس العاشر واكليمنضوس التاسع ثمّ العاشر . واينوشنسيوس الثاني عشر ثم الثالث عشر . واكليمنضوس الثاني عشر

وكان في رومية معاهد كبيرة لدول مختلفة منها للانكليز وللاسكتلنديين وللايرلنديين ولليونان كان تلامذتهم يأتون صباحَ مساء الى الجامعة الغريغوريّة ليحضروا دروسها . ومنها كانت المدرسة الارونيّة الشهيرة التي كانت تحت نظر الآباء اليسوعيين ففي تلك الجامعة اتقن كثيرون منهم العلوم ثم اشتهروا في حواضر اوربّة

كالساعنة والحصرونيين وعميرة والشدراوي والحاقلاني ومبارك والباني الخ فكلهم ثمرة الدوحة الغريغورية

كبوة الجامعة الغريغورية ونهضتها

ثبتت الجامعة الغريغورية في عزها وشهرتها الى السنة ١٧٧٣ التي فيها اضطر اعداء الدين البابا اكليمنضوس الرابع عشر الى الغاء الرهبانية اليسوعية (١ ولم يشأ ان يُهمل ذاك النادي العلمي الجليل فسلمه الى عدة من اساتذة رومية وعلمائها وكان معظمهم قد تخرجوا فيه وعرفوا نظامه فاداروه بما استطاعوا من الهمة والحكمة لولا انهم بعد حين ناءوا تحت هذا العبء الثقيل وجاءت الحوادث السياسية الفاجعة في عهد الحبرين بيوس السادس وبيوس السابع نفثت في عضدهم وتضعضعت احوال تلك المدرسة وكادت تدخل في خبر كان الى ان أحيا بيوس السابع الرهبانية اليسوعية وبعثها من قبرها سنة ١٨١٤ وكان فكره ان يُعيد اليها تدبير الجامعة الغريغورية لولا قلة اليسوعيين حينئذٍ فانتظر ريثما ينمو عددهم ويستأنفوا مشاريعهم القديمة فحال الموت دون رغبته

ولما تبوأ الكرسي البطرسي خلفه لاون الثاني عشر سنة ١٨٢٤ كان اول ما عوّل عليه ان يعطي القوس باريها فحرر براءة اثنى فيها على اعمال ابناء القديس اغناطيوس في سبيل الدين والعلم وسلم اليهم ادارة الجامعة الغريغورية وردّ لها مكاتبها ومتاحفها ومرصدها وجدّد كل النعم الممنوحة لها سابقاً وخصوصاً الرخصة بان تمنح اجازة الافنة لطلابها

فرجع اليسوعيون الى مدرستهم بحفلة عظيمة وقعت في ١٧ ايار من تلك السنة. فتمّ لها في هذا العام مئة سنة فبلغت يوبيلها المئوي الذي اقامت له الافراح في ايار الاخير مدة ثلثة ايام كاملة وقد اطنبت الجرائد في وصفها واقرّت بفضل تلك الجامعة التي لم تجد ذرة عن خطة الجامعة السابقة بل أتت بكثير من المشروعات الجليلة التي دعت اليها الاحوال الحاضرة. وقد زارها الحبران العظيمان غريغوريوس

(١ اطلب مقالتنا «اكليمنضوس الرابع عشر والغاء الرهبانية اليسوعية» في المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٥٦١-٥٧٤)

السادس عشر وبيوس التاسع فاستقبلتهما عمدة المدرسة واساتذتها وتلامذتها استقبالهم لاعظم الملوك واكبر السلاطين

على انَّ الجامعة الغريغورية لم تثبت في الصرح الجليل الذي شادهُ لها غريغوريوس الثالث عشر. فانَّ دولة ايطالية لمَّا اغتصبت رومية والاملاك البابوية سنة ١٨٧٠ وضعت يدها على ابنية هذه الجامعة ومقتنياتها كالمتاحف والمرصد والمكاتب والجأتها الى ان تنتقل الى محلّ آخر لدولة اجنبيَّة. فاختار رؤساؤها المدرسة الجرمانية المعروفة بالقصر البوروميّ ولم يُسمح لهم بتدريس الآداب اللاتينيَّة بل حُصر تعليمهم في الدروس الكهنوتيَّة

فاضطربت الامور بهذا الانتقال القسريّ وبعد ان كان عدد طلبة الجامعة الغريغورية نيفاً وسبعمائة هبط في السنة ١٨٧١ الى ١٩٦ فقط. بيد انَّ الآباء اليسوعيين لم تثبط عزمهم الاضطهادات وكثيراً ما تُضاعف همتهم. وهكذا جرى في تدبير المدرسة الرومانيَّة. فانَّ مدبريها افرغوا كنانة الجهد ليبلغوها الى أوج الرقي وغاية النجاح فلم يخب رجاؤهم والدليل عليه ان عدد الطلبة الواردين الى مناهلها اليوم قد زاد كثيراً على عددهم قبل دخول الايطاليين الى رومية فقد بلغوا في اوائل السنة المدرسيَّة ١٩٢٣–١٩٢٤ الى ١١٣٩ دارساً وكلُّهم منكبُّون على العلوم العليا دون درس الآداب اللسانيَّة. وهؤلاء الدارسون ينتمون الى جميع الدول الاوربيَّة والاميركيَّة. وقسمٌ كبير منهم ابناء رهبانيَّات وجمعيَّات مختلفة تُنيف على ستين رهبانية او جمعيَّة اكليريكيَّة. فلا شيء ارتع في النفوس من أن يرى المراقب كل صباح هؤلاء الطلبة بثيابهم الخاصَّة وازياء رهبانيَّاتهم العديدة الالوان والاشكال تدلُّ ملامحهم ولهجاتهم على مختلف بلدانهم وهم يهرعون بكل نظام ليحضروا دروس الجامعة الغريغوريَّة

وقد خرج من هذه الجامعة في هذا القرن الاخير كما في القرنين السابقين عدد عديد من مشاهير الرجال الذين يشار اليهم بالبنان في كلّ اصقاع اوربَّة بينهم الكرادلة امراء الكنيسة الرومانيَّة والاساقفة الذين شرَّفوا العالمين بفضايلهم وفضيلتهم والكتبة المتضلعين والعلماء المبرزين. وكفى لهذه المدرسة فخراً انَّ ثلثة من احبارها الاخيرين تخرَّجوا فيها نبيد بهم الطيّبيّ الذكر البابا لاون الثالث عشر

وبندكتوس الخامس عشر ثم إمام الاحبار الجالس اليوم سعيداً على كرسي الخلافة البطرسيَّة بيوس الحادي عشر . وقس عليهم كثيرين من المعاصرين الذين تدلُّ عليهم آثارهم الجليلة في كلّ الفنون وينشرون حيثما حلُّوا اصحّ التعاليم الدينيَّة والادبيَّة ويوثقون روابط الولاء والحب مع الكرسيّ الرسولي وائمَّة الكنيسة

ولا عجب من هذا الإقبال على الجامعة الغريغوريَّة وقد عَلَم فيها اكبر نوابغ العلوم الكنسيَّة في عصرنا . اشتهر منهم في اللاهوت النظري الكرادلة اليسوعيُّون فرّنزلين ومازّلا وبيليو والآباء بلمياري وسكيفيني وكلوتغن وبيدُوني وپاسّاليا . وفي اللاهوت الادبيّ الابوان غوري وبآريني . وفي الفلسفة تون جيورجي وليبراتوري . وفي الحقّ القانوني الاب تاپارلّي والاب فرنسيس قرنس الذي صار رئيساً عامّاً على الرهبانيَّة . وفي شرح الكتاب المقدّس الاب كورنلدي وپتريزي . وفي الطبيعيَّات الاب پانشياني . وتآليفهم تشهد لهم بالتقدُّم على سواهم

أمّا المرصد الفلكيّ فقام برصوده رجال ممتازون منهم الاب ڤيكو والاب فرّاري ولاسيَّما الخالد الذكر الاب انجلو سكي الذي رويتا ترجمتهُ وخلاصة اكتشافاته الفلكيَّة العديدة بمناسبة السنة الخامسة والعشرين لتذكار وفاته (المشرق ٦ [١٩٠٣]: ٩٦١–٩٧١) . ولمَّا اغتصبت الحكومة الايطالية هذا المرصد ورخّصت للاب سكي ان يواصل فيه اعمالهُ كعالِم خاصّ لا كراهب يسوعيّ أبى ذلك نافراً وفضَّل ان يحيد عنهُ كاخوتهِ المضطهَدين . وانَّما دُعي اليسوعيُّون بدلاً عنهُ الى ادارة المرصد الفاتيكاني البابويّ فاجابوا بلّ الرضى

وكان غيرهم من الآباء يبحثون عن الآثار المسيحيَّة في دياميس رومية فسبقوا العلَّامة دي روسّي بما وقفوا عليهِ من العاديَّات النصرانيَّة الفريدة نخصّ منهم بالذكر الابوين يوسف ماركي الذي عنهُ اخذ دي روسّي وغاروتشي مصنف ستَّة مجلَّدات ضخمة في آثار المسيحيين الاوَّلين . وكان الاب انجلو ماي وخلفهُ الاب هِرْله يتظاهان المكتبة الڤاتيكانيَّة ويستخرجان كثيراً من كتابات القدماء المفقودة وقد اقيم كلاهما الى منصب الكردينالية

وكان تلامذة الجامعة الغريغوريَّة يستفيدون من علوم هؤلاء الاختصاصيين فيدرسون عليهم العلوم الرياضيَّة وعلم الهيئة وعلم طبقات الارض وعلم الآثار الدينيَّة .

ولا يزال الى يومنا بعض المعلّمين في تلك الجامعة يعتزّون بتدريسها

فحقّ اذن لرؤساء الجامعة الرومانيّة الغريغوريّة ولسائر آلها ان يشكروا الله في هذه السنة على قطعها هذا الشوط من حياتها المستجدّة ويُسرّوا بما ادّته للكنيسة ولعالم العلم من الخدم الجلّى ويبعثوا همهم لمباشرة شوطٍ آخر في هذه الحلبة الجليلة ولنا الامل الوطيد انهُ سيكون اجلّ شأناً واوسع نفعاً . ولهم في براءة الحبر الاعظم التي وجّهها اليهم وعدّد فيها مآثرهم الفريدة احسن ضمين لتحقيق آمالهم لمجد الله الاعظم وخير الكنيسة الاوفر والاعمّ

ونحن الذين نشاهد عن بُعد ما تأتيه الجامعة المذكورة من الفوائد الجمّة لخدمة الدين والآداب نضمّ صوتنا الضعيف ونهنّئ اخوتنا الكرام لبارزغهم الى هذه السنة اليوبيليّة ونتمنّى لهم رقياً ونجاحاً متوالييْن طالبين من مراحم تعالى ان يحقّق امانينا بشفاعة منشئ هذه الجامعة وحارسها الامين لدى عرشهِ تعالى آمين

اوراق الخريف المتناثرة

بقلم فؤاد افرام البستاني متقدّم النادي العربيّ في كليّتنا

حشد الخريف جنودهُ الجويّة لمحاربة الارض فصفرّت رياحهُ ، وزمجرت زوابعهُ ، واحتكّت غيومهُ المتكاثفة فسطع البرق ، وقصف الرعد ، وضربت الارض بالاعاصير اذائلة فتلقّتها بجبالها الشامخة ، وصروحها المنيعة تردُّ الهجمات ، وتهزأ بالصدمات . ثم انقشع الضباب واذا بالمعركة تُسفر عن سقوط الضعفاء الواقفين في طريق المتقاتلين . . رجعت الجيوش سالمة ولم تترك في الميدان الّا مَنْ لم تدرُ الحربُ في خلده ولم يفكر عمرهُ في سجالها . تركت الجبال شامخة ، والصروح مرتفعة ، والحصون منيعة ، وألقت في حومة الوغى الاوراق الضعيفة . . . نسفت اوراق الاشجار بقوّتها الهائلة